شؤون فلسطينية

العدد 282، شتاء 2020

أفريقيا والقضية الفلسطينية

شؤون فلسطينية
ISSN 0258-4026
SHU'UN FILASTINIYAH

مركز الأبحاث
Research Center

www.prc.ps
+970-2-2966228
INFO@PRC.PS

الثمن 10 دولار أو ما يعادلها للمؤسسات، 5 دولار للأفراد
الاشتراك السنوي، 40 دولاراً للمؤسسات، 20 دولاراً للأفراد
الاشتراك السنوي خارج فلسطين: مائة دولار بما فيها أجور البريد.

شؤون فلسطينية العدد 282، 2020 شتاء

شؤون فلسطينية

فَصليّة فِكريّة لمعَالجة أحدَاث القضيّة الفِلسطينية وشؤونها المُختَلفة
تصدُر عن مَركز الأبحاث في منظمة التحُرير الفلسطينيَّة

العدد 282- شتاء 2020

رئيس مجلس الإدارة
د. محمد اشتية

المدير العام
د. منتصر جرار

أعضاء مجلس الإدارة
د. إبراهيم أبراش
د. أحمد عزم
د. أيمن يوسف
د. حسام زملط
د. سامي مسلّم
د. عدنان ملحم
أ. صقر أبو فخر

رئيس التحرير
د. أحمد عز م

مدير التحرير
د. إبراهيم ربايعة

هيئة التحرير
د. أيمن يوسف
د. سامي مسلّم
د. عدنان ملحم

مركز الأبحاث: مؤسسة من مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، تأسس عام 1965 في لبنان. يهدف المركز منذ تأسيسه التركيز على تغطية الصراع العربي- الإسرائيلي من خلال إصدار الكتب وعقد الندوات والمؤتمرات وأرشفة الوثائق والمخطوطات التي تهدف إلى تحقيق هذا الغرض.
يعتمد المركز في بحوثه ونشاطه الفكري أسلوب العرض الموضوعي الموثّق للقضايا التي تتناولها دراساته وكتبه ونشراته الدورية، ويعتمد مناهج البحث العلمي المتبعة في العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

مركز الأبحاث- منظمة التحرير الفلسطينية
القدس- فلسطين
تلفاكس : 9702966228 +
email : info@prc.ps
http://www.prc.ps

Research Center P.L.O
Al Quds - Palestine
Telfax: +9702966228
email : info@prc.ps
http://www.prc.ps

مجلة شؤون فلسطينية
e-mail:Shuun@prc.ps

© حقوق الطباعة والنشر محفوظة
2021

المحتويات

الصفحة

الافتتاحيـــة 5

ملف العدد

حول تجربتي الأفريقية
حلمـــي شـــعراوي 8

الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه دول حوض النيل.. سد النهضة نموذجاً
نجلاء مرعي 12

تحولات المواقف الأفريقية تجاه القضية الفلسطينية (2010-2020)
دول غرب أفريقيا نموذجاً
أميـرة محمـد عبـد الحليـم 30

السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه كينيا (الدوافع ومجالات التعاون)
وديـع أبـو سـنينة 47

العلاقات الإسرائيلية- التشادية نموذجاً للتغلغل الإسرائيلي في أفريقيا
رانيـا مكـرم 64

فلسطين ومؤسسة الاتحاد الأفريقي
سـامي صبـري عبـد القـوي 77

التطبيع السوداني الإسرائيلي وأثره على مسار القضية الفلسطينية
فاطمـة عمـر العاقـب علـي 95

أنثولوجيا

الشـهيد كمـال عـدوان إلـى الإخـوة الأفريقيـين رسـالة مـن حركـة "فتـح" 110

الانتفاضة الأولى تعود "أدبياً" في 2020
يامـن نوبانـي 115

دراسات تاريخية

العلاقات الفلسطينية الأفريقية: المسارات والمآلات
كـرم قـرط 124

مقابلة العدد

«شؤون فلسطينية» تستضيف وزيرة العلاقات الدولية والتعاون في جنوب أفريقيا "ناليدي باندور" 144

صورة قلمية

طارق الأفريقي النضال العالمي من أجل فلسطين.. السير المبتورة، تشظي الإقليم
علي موسى 159

مراجعات

..... 165

وثائق

..... 212

مساعد تحرير
مرح خلف

تصميم وغلاف
أمير الطويل

الآراء الواردة تعبّر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء المركز

الافتتاحية

افتتاحية

أفريقيا والقضية الفلسطينية

تزامن صعود الثورة الفلسطينية المعاصرة مع كفاح أفريقيا بدولها وفكرها الجامع للتحرر والحصول على الاستقلال وتقرير المصير، وشكل سياق الظلم الاستعماري مساحة التقاء بين الفكر السياسي والرأي العام الأفريقي من جهة، والقضية الفلسطينية من جهة أخرى. وكما يتضح في هذا العدد، كان لمكتب فلسطين في الجزائر، في النصف الأول من الستينيات، دور في بدء العلاقة بين حركة التحرر الوطني الفلسطينية وأفريقيا، وهو ما تعزز في ظل مركزية مصر في قيادة القارة ودعمها لفلسطين من خلال دبلوماسيتها وتأثيرها القاري، خاصة بعد احتلال إسرائيل أراضي مصرية- أفريقية عام 1967، واتخاذ قرار قارّي بقطع العلاقات مع إسرائيل بشكل كامل. كما لعبت أنظمة عربية، ولو في مراحل معينة، دوراً في توطيد العلاقة الفلسطينية الأفريقية، كما حصل في زمن الزعيم الليبي السابق معمر القذافي.

لكن القارة الأفريقية شهدت وتشهد تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية انعكست على علاقات دولها ومصفوفة تحالفاتها الفردية والجمعية، خصوصاً مع تراجع خطاب حركات التحرر عالمياً، إذ شهد العقدان الأخيران تغلغلاً إسرائيلياً في أفريقيا عبر المداخل الأمنية- العسكرية، والاقتصادية، والسياسية، وعبر دبلوماسية تنمية مُحكَمة. وبالتوازي، تراجع التأثير العربي في عمق القارة، وبشكل مؤثر بعد العام 2011 وانغماس الدول العربية في شمال أفريقيا بارتدادات التحولات السياسية الداخلية على حساب الدبلوماسية القارية، كما دخل لاعبون جدد على الفضاء الاقتصادي والسياسي القاري.

بالمقابل، تحاول الدبلوماسية الفلسطينية بشكل حثيث مجابهة هذه الهزات عبر الدبلوماسية المباشرة، ودبلوماسية التنمية، التي تمأسست مع تأسيس وكالة التنمية الفلسطينية عام 2016، ومن خلال تحالفات مع دول قارية مؤثرة، أهمها جنوب أفريقيا، وهذا ما حافظ على حد أدنى

من الدعم الأفريقي للقضية الفلسطينية، خاصة في الأمم المتحدة، حيث تشكل القارة الكتلة التصويتية الأكبر في العالم.

يحاول هذا العدد من «شؤون فلسطينية» قراءة خارطة التحولات والتفاعلات التي تمر بها القارة على مستويات الدعم للقضية الفلسطينية، والعلاقات العربية الأفريقية، والتغلغل الإسرائيلي وارتداداته الجيوسياسية المتصلة، ويضم ملف العدد سبعة مقالات تعالج هذه المواضيع.

يقدم الخبير المصري في الشأن الأفريقي حلمي شعراوي في مقال له على رأس ملف العدد خلاصة تجربته في فهم أفريقيا وتحولاتها، ويذهب الباحث المختص في الشأن الأفريقي سامي صبري للبحث في منظومة صنع القرار دخل مؤسسة الاتحاد الأفريقي، فيما تبحث أستاذة الدراسات الأفريقية في جامعة القاهرة نجلاء مرعي في أزمة سد النهضة والدور الإسرائيلي فيها وارتدادات هذه الأزمة على الأمن القومي العربي، أما الخبيرة في مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية أميرة عبد الحليم، فترصد تحولات مواقف الدول الأفريقية من القضية الفلسطينية من خلال نموذج غرب أفريقيا، ويذهب الباحث وديع أبو سنينة إلى دراسة السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه كينيا، وترصد الباحثة في مركز الأهرام رانيا مكرم التغلغل الإسرائيلي في القارة من خلال النموذج التشادي، أما أستاذة العلوم السياسية السودانية فاطمة العاقب، فتقدم قراءة للتطبيع السوداني الإسرائيلي كنموذج للتغلغل الإسرائيلي عبر المدخل الاقتصادي.

وارتباطاً بملف العدد، ضم باب أنثولوجيا كلمة حركة فتح في المهرجان الأفريقي الأول الذي عقد بالجزائر عام 1969، التي تلاها رئيس الوفد الشهيد كمال عدوان.

في باب أنثولوجيا أيضاً، ولكن في موضوع آخر مختلف عن ملف العدد، يقدّم الكاتب والباحث يامن النوباني مجموعة من الإنتاجات الأدبية والبحثية التي صدرت مؤخراً وتناولت موضوع الانتفاضة الأولى.

في باب دراسة تاريخية، يقدم الباحث كريم قرط دراسة بانورامية لتاريخ وتحولات العلاقات الفلسطينية الأفريقية منذ النكبة وحتى اليوم.

ويستضيف هذا العدد وزيرة العلاقات الدولية والتعاون الجنوب أفريقية «ناليدي باندور» في مقابلة خاصة، للاطلاع على موقع جنوب أفريقيا في السياسة القارية تجاه القضية الفلسطينية، والتحولات والتحديات التي تشهدها السياسة الخارجية الجنوب أفريقية، خاصة بما يتصل بالمسألة الفلسطينية.

تضمن باب «صورة قلمية» أيضاً قراءة في سيرة تربط فلسطين بأفريقيا من خلال تناول المناضل الراحل طارق الأفريقي، الذي قاتل ودافع عن فلسطين في العام 1948، يقدمها الباحث علي موسى.

وأخيراً، يقدم هذا العدد قراءات موسعة وهامة لكتب ودراسات صدرت مؤخراً وتتصل بالشأن الفلسطيني، فيضم ثلاث مراجعات موسعة لكتاب «القدس: التاريخ الحقيقي» لكاتبه أحمد دبش ويراجعه الباحث حسام أبو النصر، وكتاب «دروز في زمن الغفلة» لكاتبه قيس ماضي فرو ويراجعه الباحث حذيفة حامد، وكتاب «المثقف الفلسطيني ورهانات الحداثة» لكاتبه ماهر الشريف ويراجعه الباحث عوني فارس، إلى جانب مراجعات قصيرة لعدد من أحدث الإصدارات ذات الصلة تراجعها الباحثة رنيم العزة.

التطبيع السوداني الإسرائيلي وأثره على مسار القضية الفلسطينية

فاطمة عمر العاقب علي*

تدرس هذه الورقة المسيرة نحو التطبيع منذ عهد الرئيس النميري (1969- 1985) ونقل يهود الفلاشا إلى إسرائيل عبر السودان في ثمانينيات القرن الماضي، ثم بدء قبول نظام الإنقاذ (1989- 2019)، ذي التوجهات الإسلامية فكرة التطبيع، وصولاً للتطبيع الحالي، مع تلمس آثار ومعاني هذه المسيرة.

مقدمة

ظل السودان داعماً للقضية الفلسطينية، والشاهد أنه على اختلاف الأنظمة السياسية التي تعاقبت، كان كل نظام سياسي في السودان منذ الستينيات يعلن تأييده التام للقضية الفلسطينيين، وكان يتم تقديم الدعم فعلاً للمقاومة، لكن يتضح أنّه تحت الضغوط الخارجية، ولأسباب داخلية، كان يتم التراجع والتقبل الجزئي لمناقشة فكرة التعاون والتطبيع، هذا ما حدث أثناء نظام جعفر النميري، ونظام الإنقاذ الوطني، وصولاً لاتفاق التطبيع في العام 2020 لاعتبارات براغماتية، انطلاقاً من أن التطبيع يؤدي لوقف العزلة والعقوبات الأميركية على السودان، ويفتح باب المساعدات والاستثمارات الخارجية. هذه الاتفاق لدولة عربية بعيدة عن الحدود مع فلسطين، لن ينهي القضية الفلسطينية، ولكنه يهدف إلى شرعنة الوجود الإسرائيلي وإدماجه إقليمياً دون التوصل لحل سياسي وإقامة الدولة الفلسطينية.

تاريخ القضية الفلسطينية في السياسة الخارجية السودانية

تاريخياً ومنذ استقلال السودان، لم تنشأ أية علاقات ثنائية بين تل أبيب والخرطوم، حيث شاركت الأخيرة في الحروب التي شهدتها المنطقة العربية ضد إسرائيل وأرسلت جنوداً للقتال في حربي العام 1948 والعام 1967، كما احتضن السودان قمة «اللاءات الثلاث» المعروفة بقمة الخرطوم في 29 آب (أغسطس) 1967، بعد هزيمة العرب على يد إسرائيل بالحرب التي اندلعت في 5 حزيران (يونيو) من نفس العام، وعرفت بالنكسة» وخرجت القمة العربية آنذاك بإصرار على التمسك بالثوابت من خلال

* أستاذة العلوم السياسية بالجامعات السودانية.

«لاءات» ثلاث، وهي: «لا صلح ولا اعتراف ولا تفاوض مع العدو الصهيوني (إسرائيل) قبل أن يعود الحق لأصحابه»[1].

بدا أنّ هذه السياسة هي أيضاً سياسة الرئيس محمد جعفر النميري (1969 - 1985)، حيث أعلن في بداية عهده مواقف مؤيدة للوحدة، وللنظامين المصري بقيادة جمال عبد الناصر، والليبي بقيادة معمر القذافي، قبل أن يكون الرئيس العربي الوحيد الذي يعلن موقفاً مؤيداً للرئيس المصري محمد أنور السادات في إبرام اتفاق سلام مع إسرائيل عام 1978. وتلقى النميري مساعدات أميركية ضخمة بعد إبعاد الخبراء العسكريين السوفييت من بلاده. وفي العام الأخير له في السلطة، تعاون النميري عام 1984 في عملية نقل اليهود المعروفين باسم يهود الفلاشا، من إثيوبيا عبر الخرطوم إلى دول أخرى في طريقهم إلى إسرائيل[2]، حيث حدث حينها اللقاء الأول (في مطلع ثمانينيات القرن المنصرم)، وجمع الرئيس النميري ووزير الجيش الإسرائيلي الأسبق آريئيل شارون عبر وسيط عربي ومهّدَ لاحقاً لِصفقَة تَرحيل اليَهود الفلاشا (الإثيوبيين)[3].

القضية الفلسطينية في عهد الإنقاذ

عندما تولى الإسلاميون بقيادة عمر حسن البشير الحكم، عادت القضية الفلسطينية حاضرة في سياسة السودان الخارجية «للإنقاذ» على الصعيد الشعبي، حيث كان تنظيم المؤتمر العربي الشعبي الإسلامي في بداية التسعينيات الذي أعلن ميثاق مناصرة الشعب الفلسطيني، وأصبحت القضية بنداً أساسياً حاضراً بقوة في سياستها الخارجية، وعلى صعيد السلوك السياسي الفعلي على أرض الدولة، قام السودان بفتح أراضيه أمام حركة حماس وحركة الجهاد الإسلامي، وعرف نظام الإنقاذ بأنه كان يعتبر دولة إسناد لهذه الفصائل والحركات، وقدم لها الكثير من الدعم اللوجستي والسياسي والمعنوي، وكانت الأيديولوجيا عاملاً للتقارب. وكان الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ضيفاً على هذا المؤتمر أيضاً، وهو ما يعتقد أنّه من العوامل التي ألّبت المواقف الأميركية والإسرائيلية ضد نظام الإنقاذ[4].

وفي زيارة الرئيس الفلسطيني محمود عباس إلى العاصمة السودانية الخرطوم عام 2016، صرح البشير: «لدينا موقف واضح لدعم القضية الفلسطينية، والتشاور بين الجانبين مستمر من خلال المبعوثين».

وعبر الرئيس السوداني عن تقديره لجهود أبو مازن واهتمامه بقضايا السودان، وقال: «تناولت المباحثات عدداً من القضايا مثل الحوار الفلسطيني الفلسطيني والمفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي»، كما التقى الرئيس الفلسطيني على هامش زيارته عدداً من المسؤولين الرسميين السودانيين الذين أكدوا على ذات الموقف[5].

بيد أن الموقف السوداني العملي تجاه القضية الفلسطينية كان يتدرج بعيداً عما يعلن، وشهد الموقف وجهة نظر جديدة في أعقاب تولي إبراهيم غندور للخارجية السودانية عام 2015، حيث فتح الباب واسعاً أمام إمكانية تطبيع بلاده مع إسرائيل، الأمر الذي شكل تراجعاً في مواقف النظام الحاكم في الخرطوم وتغليب الحكومة لمصالحها على حساب أي محددات فكرية وأخلاقية، حيث صرح الغندور في أكثر من مناسبة أن السودان يمكن أن يدرس مسألة التطبيع مع إسرائيل، كما عقدت لجنة العلاقات الخارجية بمؤتمر الحوار الوطني السوداني عام 2016 اجتماعاً ناقشت خلاله قضية العلاقات مع تل أبيب، حيث أيدت غالبية أعضاء اللجنة إقامة علاقات مشروطة مع الدولة العبرية[6].

وشمل هذا التدرج نحو التطبيع استقبال عام 2016 تراجي مصطفى، السيدة السودنية التي أعلنت عام 2006 تأسيس جمعية الصداقة مع إسرائيل، احتجاجاً على إهمال العرب لقضية الصراع في دارفور في السودان، وتم عقد لقاءات معها على مستوى رئيس الجمهورية، عمر البشير، فضلاً عن إشراكها في «الحوار الوطني الشامل»، الذي أعلنه السودان حينها بين قواه السياسية، هذا رغم إسقاط الجنسية السودانية عنها سابقاً بوصفها «خائنة للبلاد» لتأييدها التطبيع مع الكيان الصهيوني، وزيارتها لتل أبيب، وهو ما شكل أولى خطوات التغيير في مواقف الخرطوم من إسرائيل، وبدا أن سياسة الخرطوم أصبحت تستشعر في ذلك الوقت أن عداء إسرائيل مكلف وفاتورته باهظة، كونه يقف حجر عثرة أمام التطبيع مع الولايات المتحدة الأميركية[7].

القضية الفلسطينية في عهد الحكومة الانتقالية

تشكل النظام السياسي للسودان عقب الثورة ضد نظام الإنقاذ، من شراكة وتقاسم للسلطة بين المؤسسة العسكرية التي عزلت البشير وبين قوى المعارضة التي عرفت لاحقاً بقوى الحرية والتغيير، وتكونت كنتاج لهذه الشراكة حكومة الفترة الانتقالية التي تم الإعلان عنها في

17 آب (أغسطس) 2019، حيث تم الاتفاق على تشكيل حكومة كفاءات وطنية [8] أنيطت بها قيادة المجتمع والدولة إلى الانتخابات التي تقرر لها أن تكون عقب ثلاثة أعوام كما نص الاتفاق.

عقب التوقيع على الاتفاق السياسي، ذهب رئيس الوزراء للحكومة الانتقالية عبد الله حمدوك إلى الولايات المتحدة لحضور اجتماع الجمعية العمومية للأمم المتحدة في نيويورك، في أيلول (سبتمبر) 2019[9]، ثم قام بزيارة رسمية إلى واشنطن بدعوة أميركية في كانون الأول (ديسمبر) 2019 استمرت ستة أيام[10]، حيث رأى كثير من المراقبين أنها شملت الترتيبات الأميركية للسودان الجديد عقب الثورة، وذهب البعض الآخر إلى أنه تمت ممارسة ضغوط على حمدوك في هذه الزيارة كتسويات مقابل رفع اسم السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب والعقوبات الاقتصادية، ومنها إجراء إصلاحات في بنية النظام السياسي نفسه. أكد حينها وكيل وزارة الخارجية الأميركية للشؤون السياسية ديفيد هيل، أن «السودان لا يزال مدرجاً على قائمة واشنطن للدول الراعية للإرهاب، وأن رفع اسمه مرهون بعدد من الشروط، أبرزها تحوله إلى حكومة مدنية تكفل حقوق الإنسان، وتحقق السلام، وتستجيب للانشغالات الأميركية بشأن مكافحة الإرهاب»، وأضاف أن «هناك عدداً من الأمور التي نتطلع لبحثها مع حكومة بقيادة مدنية، وننتظر ما ستفعله الحكومة المدنية بشأن كفالة الحريات وحقوق الإنسان ومكافحة الإرهاب». وغني عن الذكر أن تصنيف السودان بلداً راعياً للإرهاب يجعله غير مؤهّل لتخفيف الديون، كما يحد من حصوله على تمويل من مُقرضين مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، فضلاً عن حد قدرته في جذب الاستثمارات الأجنبية[11]، مضافاً لما سبق ضرورة التطبيع لما سَيَلي من تموضع لسياسات جديدة.

الوصول إلى التطبيع

استناداً إلى ما سبق من اشتراطات أميركية، اجتمع رئيس المجلس السيادي الانتقالي عبد الفتاح البرهان برئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في أوغندا في شباط (فبراير) 2020، وهو ثاني لقاء على الإطلاق يجمع مسؤولاً سودانياً بمسؤول إسرائيلي رفيع المستوى، الأمر الذي أعطى منحنى العلاقات السودانية الإسرائيلية بعداً وطبيعةً جديدة، ودخلت العلاقات مرحلة مختلفة ألقت بالضرورة بظلالها على القضية الفلسطينية[12].

في سياق لقاء البرهان- نتنياهو، تحدث رئيس مجلس السيادة الانتقالي عن الترتيبات التي سبقت اللقاء، وأشار إلى محادثات تحضيرية سبقت اللقاء بثلاثة أشهر تمت مع رئيس الوزراء الإسرائيلي ووزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو، مشيراً إلى أن اللقاء تم بعلم حمدوك[13]. في المقابل، كشفت صحيفة «ذي تايمز أوف إسرائيل» أنّ الإمارات هي التي رتبت اللقاء وعلمت به «دائرة صغيرة» من كبار المسؤولين في السودان[14]، ونقلت إحدى وكالات الأنباء العالمية عن ضابط سوداني رفيع قوله إن الإمارات العربية المتحدة لعبت دور الوسيط في ترتيب اللقاء، وهي تسعى أيضاً لدى الإدارة الأميركية إلى رفع العقوبات المفروضة على السودان[15]. وحسب تصريح البرهان، فإن لقاءه مع نتنياهو في أوغندا كان بترتيب أميركي[16].

إشارات الرضى الأميركي على السودان

حذفت الولايات المتحدة في كانون الأول (ديسمبر) 2019 اسم السودان من لائحتها السوداء للدول التي «تثير قلقاً خاصاً» على صعيد حرية المعتقد، وقال وزير الخارجية الأميركي السابق مايك بومبيو في ذلك الوقت، إنه جرى سحب السودان من اللائحة «بفضل الخطوات المهمة التي اتخذتها الحكومة الانتقالية التي يديرها المدنيون»[17]. وبهذا الإعلان، انتقلت الخرطوم إلى لائحة وسطى خاصة بالدول الموضوعة «قيد المتابعة» على هذا الصعيد، بانتظار معرفة مصير التقدم المسجل. وفي وقت لاحق من ذات الشهر، أعلن بومبيو أن الولايات المتحدة والسودان، قررتا تبادل السفراء، بعد قطيعة دبلوماسية استمرت 23 عاماً[18]، وهذا ما حدث في 13 شباط (فبراير) 2020، وبالتزامن، أعلن السودان توقيع اتفاقية تسوية مع أسر ضحايا حادثة تفجير المدمرة الأميركية «كول».

وفي 4 آذار (مارس) 2020م، أعلن البنك المركزي السوداني، انتهاء كل أشكال العقوبات الاقتصادية المفروضة على السودان، بموجب الأمرين التنفيذيين الأميركيين 13067 و13412. وأعلن محافظ بنك السودان المركزي بدر الدين عبد الرحيم في تعميم صحفي، أن البنك المركزي تلقى خطاباً من مدير مكتب العقوبات بوزارة الخارجية الأميركية عبر وزارة الخارجية السودانية يفيد بتأكيد انتهاء كافة أشكال العقوبات الاقتصادية المفروضة على السودان بموجب الأمرين التنفيذيين المشار إليهما سابقاً. وأشار المحافظ حسبما ذكرت وكالة السودان للأنباء «سونا»، إلى «أنه تم رفع العقوبات بموجب الأمرين عن 157 مؤسسة سودانية، ولم يتبق ضمن العقوبات

سوى بعض الأفراد والمؤسسات المرتبطين بالأحداث في دارفور[19].

التطبيع السوداني الإسرائيلي

جاءت زيارة البرهان إلى الإمارات العربية المتحدة يوم 19 أيلول (سبتمبر) 2020 في ذات السياق، وأعلن أن الزيارة جاءت لبحث القضايا الإقليمية المرتبطة بالشأن السوداني، وقال بيان للقصر الرئاسي في الخرطوم، «إن زيارة الوفد الحكومي الرفيع إلى الإمارات ستأخذ مسارين: الأول مع القيادة الإماراتية ويقوده رئيس مجلس السيادة، فيما يقود المسار الثاني وزير العدل مع فريق الإدارة الأميركية»[20]، وكان موضوع النقاش المنفصل «مستقبل السلام العربي الإسرائيلي الذي يؤدي إلى الاستقرار في المنطقة ويحفظ حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته وفق رؤية حل الدولتين ودور السودان الذي من المتوقع أن يلعب في تحقيق هذا السلام».

التقى البرهان وحمدوك مع المدير الأول لشؤون الخليج في مجلس الأمن القومي الأميركي العميد ميغيل كوريا، ومع دبلوماسيين من الإمارات العربية المتحدة، في سياق السعي السوداني للحصول على 3 مليارات دولار من المساعدات المالية، حيث يُعتقد أن البرهان كان يؤيد التطبيع مع إسرائيل أكثر من حمدوك، الذي كان أكثر استشعاراً بالقلق من الرأي العام. اعتقد البرهان أن العلاقات مع إسرائيل ستساعد في إخراج السودان من أزمته الاقتصادية والإنسانية[21]، وقالت صحيفة «جيروزاليم بوست» الإسرائيلية، إن الزيارة غرضها بحث تطبيع السودان علاقاته مع إسرائيل. وحسب الصحيفة، «يطلب السودان لقاء التطبيع مع إسرائيل شحنات غذائية بقيمة 1.2 مليار دولار، وقرضاً بقيمة 2 مليار دولار لمدة 25 عاماً، والتزاماً بتقديم مساعدات اقتصادية من الإمارات العربية المتحدة والولايات المتحدة». وأشارت إلى «الصلة بين موافقة السودان على توقيع اتفاق تطبيع وطلب إدارة ترامب إزالة السودان من قائمة وزارة الخارجية للدول الراعية للإرهاب». وزادت: «إذا تمت تلبية هذه الطلبات، فقد يستغرق الأمر أياماً فقط لعقد اتفاق تطبيع بين السودان وإسرائيل»[22]. وبهذا السياق، تلقى البرهان دعوة لزيارة الولايات المتحدة الأميركية ولقاء الرئيس دونالد ترامب يوم 5 تشرين الأول (أكتوبر) 2020، ومن ثم التوقيع على الاتفاق الثنائي مع واشنطن ورفع اسم السودان من لائحة الإرهاب، «ما يفتح صفحة جديدة في تاريخ السودان الحديث بعد قطيعة استمرت 30 عاماً مع الولايات المتحدة»، لكن المصادر رهنت اكتمال الصفقة مع

الولايات المتحدة وتأكيد زيارة واشنطن بما ستخرج به الاجتماعات خلف الأبواب المغلقة التي «سيجريها» البرهان في الإمارات[23].

التوقيع على اتفاقيات أبراهام

يذهب البعض إلى أن قادة السودان استسلموا لاقتراح الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب تحت الإكراه، وبدافع اليأس من إزالتهم من قائمة الدول الراعية للإرهاب في الولايات المتحدة[24]. ووقع السودان مع الولايات المتحدة ما اصطُلح على تسميتها «اتفاقات أبراهام» التي وافقت بموجبها الخرطوم على تطبيع علاقاتها مع إسرائيل، حسب ما أعلنت السفارة الأميركية في الخرطوم. وخلال مراسم التوقيع، أشاد وزير العدل السوداني نصر عبد الباري بالاتفاق واصفاً إياه بأنه «خطوة مهمة». وأضاف أن الاتفاق «يؤكد قناعتنا بأن السلام يدعم العلاقات والمصالح بين الشعوب» يأتي هذا بعد شطب السودان من القائمة الأميركية للدول الداعمة للإرهاب كتمهيد لحصول السودان على المساعدات المالية في ظل أزمة اقتصادية غير مسبوقة ومعدلات تضخم مرتفعة. ففي 23 تشرين الأول (أكتوبر) 2020، أعلن الرئيس الأميركي السابق في وقت واحد قراره شطب السودان من تلك القائمة وموافقة الخرطوم على تطبيع العلاقات مع إسرائيل[25].

وكتبت السفارة الأميركية في الخرطوم في تغريدة «نهنئ الحكومة الانتقالية على توقيعها اليوم إعلان اتفاقات ابراهام، التي من شأنها مساعدة السودان أكثر في مسار الانتقال نحو الاستقرار والأمن والفرصة الاقتصادية». وأضافت أن «الاتفاق يسمح للسودان وإسرائيل والدول الأخرى الموقعة على اتفاقات أبراهام بناء ثقة متبادلة وزيادة التعاون في المنطقة[26]».

وقع الاتفاق عن الجانب السوداني، وزير العدل نصر الدين عبد الباري، وعن الجانب الأميركي وزير الخزانة ستيفن مونشن، حسب بيان صدر من إعلام مجلس الوزراء، وأضاف البيان: «أفضل الطرق للوصول لسلام مستدام بالمنطقة والعالم تكون من خلال التعاون المشترك والحوار بين الدول؛ لتطوير جودة المعيشة». ومن المهم الإشارة إلى أن الاتفاقيات لم تذكر أن إسرائيل ملزمة بوقف ضم الأراضي الفلسطينية المحتلة أو حتى تأجيله[27].

وتم التوقيع خلال زيارة منوتشين إلى السودان بعد أقل من شهر من إزالة واشنطن الخرطوم من قائمتها السوداء كدولة راعية للإرهاب، وكان هناك اتفاق بمساعدات تصل لمليار دولار (810 مليون يورو) بتمويل سنوي من البنك الدولي للسودان. وأضاف أن «الاتفاقية تسمح للسودان وإسرائيل وغيرهما من الموقعين على اتفاقيات إبراهيم ببناء الثقة المتبادلة وزيادة التعاون في المنطقة»[28].

تأثير التطبيع على القضية الفلسطينية

تؤثر عمليات التطبيع التي بدأت في المنطقة العربية بالضرورة على مسار القضية الفلسطينية، وذلك لما يحمله التطبيع من سحب البساط من القضية لجهة إيجاد وخلق مشروعية لإسرائيل، دون زوال الاحتلال. وفيما يتعلق بتطبيع السودان، فإنه يؤثر بالضرورة بشكل كبير جداً، إذ يعتبر توقيع الخرطوم هزيمة لما تم تبنيه في الخرطوم مسبقاً من لاءات ثلاث رفعت وشكلت قوة صلدة ضد الاحتلال الإسرائيلي، وتطبيع عاصمة اللاءات الثلاث لها رمزية تعكس ذلك، خاصة إذا وضع في الاعتبار أن التطبيع أعقب نظاماً مسانداً وداعماً للقضية بشكل كبير، فالأمر له رمزية في الوطن العربي.

هناك رأي مغاير لهذه الرؤية: «حتى لو طبَّع كل العرب، لا يعتقد أن قضية فلسطين ستتأثر، ما لم يقر الشعب الفلسطيني بحق الاحتلال في فلسطين»، ويؤكد هذا الرأي، أن الفلسطينيين «لا تعنيهم كثيراً حالة الانهيار العربي»[29]، ولكن الواضح أنه في ظل النظام الأحادي القطبية، فإن التطبيع قد يتوالى داخل الوطن العربي، وبالتالي، إذا لم يتأثر الشعب الفلسطيني نفسياً بدرجة كبيرة جراء تطبيع ثلاث أو أربع دول الآن، لكن بالضرورة أن تزايد الموقعين على التطبيع في المستقبل سيؤثر نفسياً بدرجة كبيرة.

إنّ تطبيع الحالة مع الأنظمة العربية هو إحداث نوع من الهزيمة النفسية في وجدان هذه الشعوب بأن «إسرائيل» هي أمر واقع ولا مفر منه، وثانياً من جهة أخرى، يوفر لهذا الكيان الصهيوني حالة من الاستقرار التي يطمح إليها الكيان من أجل أن يمتد ويتوسع في مخططاته[30].

إحدى النتائج الأخرى المتوقعة للتطبيع، هي وقف إمدادات سلاح كانت تصل إلى قطاع غزة عبر السودان، وكانت تقارير أميركية تناولت الغارات الإسرائيلية على السودان في عهد الإنقاذ، حيث أرجعت سببها

إلى الدعم الذي يقدمه السودان للمقاومة الفلسطينية، خاصة بالنظر إلى الغارة التي دمرت أربعة زوارق سودانية في البحر الأحمر، عام 2009، ونشرت تقارير إسرائيلية أنّ الغارات استهدفت شحنات أسلحة إيرانية موجهة إلى «حماس»[31].

وفي نيسان (أبريل) 2011، قتل مسؤول بارز في حركة حماس في السودان، يعتقد أنه كان له دور في عمليات شراء أسلحة للحركة في قطاع غزة، وذلك خلال هجوم بصاروخ في بورسودان. وكشفت البرقيات الدبلوماسية الأميركية التي سربها موقع (ويكيليكس) أنه بالعودة إلى كانون الثاني (يناير) 2009، كانت الولايات المتحدة تحث السودان على وقف رحلات الأسلحة بين طهران والخرطوم[32]. بالمقابل، تربط بعض الجهات بين وصول السلاح لقطاع غزة وتجار قبليين ينشطون في الحدود بين مصر وفلسطين وإسرائيل والسودان وإريتريا والصومال وإثيوبيا، مع الإشارة إلى أن المحللين المختصين يرون هذه التوصيفات أمراً مبالغاً به[33]. وفي تشرين الأول (أكتوبر) 2012، شنت أربع طائرات مجهولة يعتقد أنها طائرات إسرائيلية، هجوماً على مستودع أو مصنع على مشارف العاصمة السودانية الخرطوم.

أما في إطار إعادة تشكيل المنطقة وفق الرؤية المشتركة الإسرائيلية الأميركية، فلا يمكن النظر إلى تطبيع الدول التي لا يربطها جوار حدودي على أنه يدخل ضمن اتفاقات السلام والجوار الآمن، بل يمكن الافتراض أنها تدخل في نطاق التحالفات الإستراتيجية، فالخليج مدفوعاً بهمه في تقويض بعض مراكز القوى المنافسة والمناوئة له، والتطبيع السوداني مدفوعاً بهدفه في الخروج من الأزمة الاقتصادية والإرث الإنقاذي يؤثر من جهة أنه سيبحث مستقبلاً عن تحالفات منبثقة من دائرة التطبيع الذي تم وليس من أي دائرة مغايرة، وبالتالي، لا تصب التحالفات المستقبلية إلا في مصلحة هدفه من وراء التطبيع، وهو تعزيز علاقاته الجديدة والحفاظ عليها، ما يؤثر بشكل إيجابي لجهة إسرائيل دون المصلحة الفلسطينية التي تتأثر قطعاً بشكل سلبي جراء ذلك.

إلى ذلك، يسهم التطبيع السوداني في زيادة عدد الدول المطبعة، خاصة تلك التي تتحين الفرصة، ما يؤثر في تحسين الصورة الذهنية المعروفة للاحتلال الإسرائيلي ومحاولة إعطائه شرعية يبحث عنها عبر المشروطية السياسية واستخدام سياسة الدعم الاقتصادي للدول الفقيرة كالسودان، وبالتالي، يجد شرعية مقابل تقويض القضية الفلسطينية.

مستقبل التطبيع السوداني الإسرائيلي

ذهب الكثير من المراقبين إلى الافتراض أن التطبيع السوداني قد يكون من أنواع التطبيع الشكلي، ولكن هذا الافتراض يبدو أنه قد لا يتوافق مع المعطيات المتاحة، التي يمكن من خلالها قراءة أن اتجاهات التطبيع السوداني تجعله من أنواع التطبيع الفعلي الكامل، وذلك لأسباب منها أنّ التيار العسكري السوداني يبدو أكثر جرأة في عمليات التعاون مع إسرائيل من التيار المدني، وذلك من خلال التاريخ السياسي السوداني. كذلك، فإنّ من مؤشرات جدّية التطبيع الزيارات على مستوى القيادات العليا وتوقيع الاتفاقيات. فقد زار وزير المخابرات الإسرائيلي إيلي كوهين الخرطوم على رأس وفد كبير بعد أشهر قليلة على موافقة السودان على تطبيع علاقاته مع الدولة العبرية، وأوضح مكتب كوهين أن تلك الزيارة هي الأولى لوزير إسرائيلي على رأس وفد رسمي. وقالت وزارة الاستخبارات الإسرائيلية في بيان «إن أعضاء الوفد التقوا رئيس الدولة الفريق أول عبد الفتاح البرهان ووزير الدفاع ياسين إبراهيم وأجروا محادثات حول القضايا الدبلوماسية والأمنية والاقتصادية». وأوضح البيان أنه «تم توقيع أول مذكرة على الإطلاق بشأن هذه المواضيع بين وزير الدفاع السوداني وكوهين»، وناقش الجانبان أيضاً «تعميق التعاون الاستخباراتي»، وأضافت الوزارة أن «السلطات السودانية أطلعت الوفد الإسرائيلي على التقدم الذي أحرزته في إلغاء قانون مقاطعة إسرائيل، وتعديل قانون ينص على سجن السودانيين الذين لجأوا إلى اسرائيل وعادوا أدراجهم الى السودان»، وقال كوهين إن زيارته للخرطوم «أرست الأسس للعديد من أوجه التعاون المهمة التي ستساعد إسرائيل والسودان، وتعزز الاستقرار الإقليمي، وتعمق علاقاتنا مع أفريقيا، وتؤدي إلى مزيد من الاتفاقيات مع دول المنطقة»[34].

وحسب متحدث إسرائيلي، التقى كوهين وزير الدفاع السوداني ياسين إبراهيم، ووقع الاثنان مذكرة شملت الجوانب السياسية والأمنية والاقتصادية[35].

بالتالي، لا يمكن مع هذه الخطوات نحو مزيد من تعزيز العلاقات السودانية الإسرائيلية أن يكون التطبيع السوداني شكلياً، بل هو تطبيع يتجه بأقدام ثابتة نحو التطبيع الكامل، وسوف يتم لاحقاً إذا سار بهذه الخطوات المنتظمة أن يتم التبادل الدبلوماسي بين البلدين.

خاتمة

تناولت الورقة التطبيع السوداني وأثره على القضية الفلسطينية، وحاولت الورقة تبيان أن التبعية الاقتصادية في الوطن العربي تقود بشكل مباشر إلى التبعية السياسية، لذلك، لم يكن التطبيع السوداني الإنتاج اعتقاد براغماتي من خلال أن التطبيع مع إسرائيل سيقود إلى مزيد من التنمية الاقتصادية أو إعفاء من الالتزامات المالية للسودان، كما تناولت الورقة تفصيلياً الخطوات المتدرجة نحو التطبيع وصولاً الى إعلانه لتكون الدولة الثالثة (في عام 2020) في قطار التطبيع العربي الإسرائيلي، مضافاً لما سبق، خلصت الورقة إلى أن التطبيع هو سياسة القرن الحادي والعشرين للوطن العربي لم يكن يحصل لولا عدم توازن القوى في النظام العالمي الجديد والضغط الذي مارسته إدارة دونالد ترامب على الدول العربية لتدخل التطبيع الذي يدعم إسرائيل أكثر منه الدول العربية، حيث يمنحها شرعية ونفوذاً للعب دور سياسي إقليمي جديد في المنطقة، ما يؤثر سلباً على القضية الفلسطينية من خلال شرعنة إسرائيل دون التوصل لتسوية سياسية على أساس حل الدولتين.

الهوامش

1 موقع الجزيرة الإخباري، مؤتمر الخرطوم 1967م قمة اللاءات الثلاث، 29 آب (أغسطس) 2016. https://bit.ly/3s5mf9r

2 Lawrence Joffe, Jaafar Nimeiri, The Guardian, 5 June 2009.

3 محمد أمين إسماعيل، العلاقات السودانية الإسرائيلية من بدايات سرية إلى نهايات علنية، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 15044، 5 شباط (فبراير) 2020م.

4 حمادة فراعنة، رحيل حسن الترابي، صحيفة الدستور الأردنية، 10 آذار (مارس) 2016.

5 موقع صحيفة الشعب، الرئيس السوداني يؤكد دعم ومساندة بلاده للقضية الفلسطينية، 20 آب (أغسطس) 2009.

http://arabic.people.com.cn/31662/6733726.html

6 عبد الباري عطوان، حكومة السودان تمهد للتطبيع مع إسرائيل، موقع الراكوبة، 19 كانون الثاني (يناير) 2017. https://bit.ly/3cMwnxA

7 موقع العربي الجديد، «تقارير عربية»، وزير خارجية السودان يلمح إلى إمكانية التطبيع مع إسرائيل، 15 كانون الثاني (يناير) 2016. https://bit.ly/3f0vqV8.

8 موقع الأناضول، الوسيط الأفريقي العسكري وقوى التغيير بالسودان اتفقا على الإعلان السياسي، 12 تموز (يوليو) 2019. https://bit.ly/3c3Wktc

9 موقع MCD، حمدوك من القاهرة مباشرة إلى نيويورك من دون التوقف في باريس، 18 أيلول (سبتمبر) 2019. https://bit.ly/3sbLCXy

10 مرتضى كوكو، حمدوك يغادر إلى واشنطن لبدء زيارة رسمية تستغرق ستة أيام، موقع النيلين، 1 كانون الأول (ديسمبر) 2019. https://al-ain.com/article/sudan-washington.

11 عربي عياش، هل اقترب رفع السودان من قائمة الإرهاب؟ هذه شروط أميركا، موقع 21 عربي، 3 أيلول (سبتمبر) 2019. https://bit.ly/3c3WUr1

12 محمد أمين إسماعيل، العلاقات السودانية الإسرائيلية من بدايات سرية إلى نهايات علنية، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 15044، 5 شباط (فبراير) 2020.

13 موقع سكاي نيوز عربية، البرهان: اللقاء مع نتنياهو جاء بعلم حمدوك.. وله فوائد كثيرة، 5 شباط (فبراير) 2020. https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1318509-%D8%

14 ANADOLU AGENCY، لقاء البرهان نتنياهو.. بين التجريم والتبرير، 5 شباط (فبراير). https://ly.bit/2PeYtcw.

15 موقع BBC، اللقاء بين البرهان ونتنياهو مر عبر الامارات، 4 شباط (فبراير) 2020. https://www.bbc.com/arabic/world-51375170.

16 موقع RT، البرهان لقائي مع نتنياهو تم بترتيب أميركي، 5 شباط (فبراير) 2020. https://ly.bit/3f3qe2L.

17 موقع القدس العربي، واشنطن تسحب السودان من لائحتها السوداء حول حرية المعتقد، 20 كانون الأول (ديسمبر) 2019. https://ly.bit/314EbVO.

18 France 24, US Removes Sudan from Religious Freedom Blacklist, 20 Dec 2019. https://www.france24.com/en/20191220-us-removes-sudan-from-religious-freedom-blacklist,.

19 موقع الحرة، البنك المركزي السوداني يعلن انتهاء العقوبات الاقتصادية المفروضة على الخرطوم، 4 آذار (مارس) 2020. https://arbne.ws/3r6Agmf..

20 عمار عوض، البرهان في الإمارات.. وصحيفة إسرائيلية: التطبيع خلال أيام إذا لبيت طلبات السودان، القدس العربي، 20 أيلول (سبتمبر) 2020. https://www.alquds.co.uk/%D8%A7%D9%84%D8%A8.

21 Lahav Harkov ,Sudanese Leaders Return Without Israel Normalization Deal, THE JERUSALEM POST https://www.jpost.com/israel-news/sudanese-leaders-return-without-israel-normalization-deal-643281

22 Ibid.

23 عمار عوض، البرهان في الإمارات وصحيفة إسرائيلية التطبيع خلال أيام إذا لبيت طلبات السودان، موقع القدس العربي، 20 أيلول (سبتمبر) 2020. https://bit.ly/3r5YFIk.

24 Sudan - Israel Relations Agreed Donald Trump Announces, BBC,24 NOV 2021. https://www.bbc.com/news/world-africa-54554286

25 France 24، السودان يوقع اتفاق تطبيع العلاقات مع إسرائيل ويحصل على مساعدات أميركية، 6 كانون الثاني (يناير) 2021. https://bit.ly/3s7zLcH..

26 France24، السودان يوقع اتفاقات أبراهام مع الولايات المتحدة حول تطبيع علاقات الخرطوم مع إسرائيل، 6 كانون الثاني (يناير) 2021. https://bit.ly/3vJgTD3.

27 موقع القدس العربي، السودان يوقع إعلان اتفاقيات أبراهام، 6 كانون الثاني (يناير) 2021. https://bit.ly/2P8SRAS

28 DW, Sudan Signs Pact With US Normalization Ties with Israel,25 Feb 2021, https://www.dw.com/en/sudan-signs-pact-with-us-on-normalizing-ties-with-israel/a-56148309

29 يوسف حمود، هل تضعف اتفاقيات التطبيع موقف الفلسطينيين في مواجهة إسرائيل، موقع الخليج أونلاين، 16 أيلول (سبتمبر) 2020.

https://bit.ly/3IxhiUy.

30 موقع قناة العالم الإخبارية، التطبيع الإماراتي والكيان الصهيوني، 25 آب (أغسطس) 2020.https://bit.ly/3fe1Yeg

31 أحمد جميل عزم، خط الأسلحة والبشر من السودان إلى فلسطين، موقع الغد، 29 آذار (مارس) 2009. https://bit.ly/2P7354C/.

32 جوناثان ماركوس، معركة إسرائيل الخفية مع مهربي الأسلحة، موقع BBC، 6 آذار (مارس) 2014.

https://www.bbc.com/arabic/middleeast/2014/03/140306_israel_weapons_smugglers.

33 عماد عبد الهادي، السودان وقضية تهريب الأسلحة، موقع الجزيرة، 12 نيسان (أبريل) 2011، https://bit.ly/3tEmjNV.

34 موقع France24، أول زيارة لوزير إسرائيلي إلى السودان على رأس وفد رسمي، 26 كانون الثاني (يناير) 2021، https://bit.ly/3r7eZsx

35 موقع BBC، التطبيع.. وزير الاستخبارات الاسرائيلي إيلي كوهين، 26 كانون الثاني (يناير) 2021، https://www.bbc.com/arabic/middleeast-5580898.